الإجابات اللغوية عند الثعلبي في كتابه : الكشف والبيان عن تفسير القرآن

م. د. عدنان جمعة عودة اسماعيل

جامعة الفلوجة- كلية العلوم الإسلامية- قسم اللغة العربية / العراق

The linguistic answers of Al-Thaalabi in his book: Alkashf walbayan ean tafsir of the Qur'an.

Dr. Adnan Jumaa Auda Ismaeel Al-tarkawi *

Fallujah University - College of Islamic Sciences - Department of Arabic Language _ Iraq

Crosspnding author: adnanalturkawy@gmail.com

مُلخّص البحث :

تتلخص هذه الدراسة بالبحث في الإجابات اللغوية للأسئلة المفترضة الخاصة بالنصوص القرآنية . في أحد كتب تفسير القرآن الكريم . ويدور البحث حول نقطة محددة, تهتم بما عرضه الإمام الثعلبي– رحمه الله – من أسئلة لها علاقة بالمفهوم اللغوي ؛ ثم عرض الإجابة عنها بما يخصها, بأسلوب يعتمد على التأصيل والمناقشة, وإظهار الجوانب المعتبرة في هذه الإجابات, وما يقويها من أدلة, تتساوق في إزالة ما قد يشكل أو يُفهم على غير وجهه المطلوب, فكان العنوان : الإجابات اللغوية عند الثعلبي في كتابه : الكشف والبيان عن تفسير القرآن . وتأتي أهمية البحث من شرف المدروسِ – كتابِ الله – حيث إن بعضًا من النصوص القرآنية, تحتاج ضرورةٍ إلى بسط وتوظيف لغوي لكشف ما قد يوهم به ظاهر النص. داعيًا من الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصواب, إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الكلمات المفتاحية : الإجابات, البيان, تفسير, الثعلبي, القرآن, الكشف, اللغوية .

Research Summary
This study summarizes by looking at the linguistic answers to the hypothetical questions related to the Quranic texts. In one of the books of the interpretation of the Noble Qur'an. The research revolves around a specific point concerned with what was presented by Imam Al-Thaalabi - may God have mercy on him - with regard to the linguistic concept. Or it is understood in a way other than its required aspect, so the title was: The linguistic answers of Al-Thaalabi in his book: Alkashf walbayan ean tafsir of the Qur'an. The importance of the research comes from the honor of the studied - the book of God - as some of the Qur'anic texts need to be simplified and linguistically employed to reveal what the apparent text may delude. Calling on God Almighty to inspire us with the rightness, he is the guardian of that and is capable of it.
Keywords : Answers, Bayan, Kashf, Linguistic, Qur'an, Tafsir, Thaalabi .

المقدمة :

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبا مباركًا, والشكر له سبحانه على نعمائه, أما بعد :فمن عظيم ما منَّ الله سبحانه أن هدانا لدراسة شيء من فيض علوم كتابه الحكيم , دراسة خاصــة بالتوظيف اللغوي والدلالي لفهم ما قد يشكل على السامع أو القارئ حين يقرأ ؛ محاولًا أن يستنبط المعنى المطلوب الظاهر أو المؤول من النص القرآني . وتقف أهمية الدراسة الآتية عند مجال يوضح المعنى, ويزيل اللبس, ويفكّ المشكل ؛ بما تتيحه اللغة العربية, من حيث التأصيل, وما يخرج عنه ؛ بحجة تنعقد ملائمةً ما يسوّغ إلى هذا الخروج, باتجاهٍ يتناغم مع أساليب العرب في لغتها ومقصدها. ويهتم البحث بعرض المسائل الخاصة بالدلالة اللغوية, للمفردات والجمل, عرضًا يقوم على شقين: الأول : طرح الأسئلة افتراضيًا, من قِبل الإمام الثعلبي – رحمه الله – من جهة تتبادر إلى ذهن من تشكل عليه بعض الآيات القرآنية, وملاك هذا السؤال يستلزم توضيحًا يتطلب فهمًا لغويًا ؛ كونه أداة بالغة الأهمية ؛ لرفع الإبهام عن بعض آيات القرآن.والثاني: الإجابة الخاصة بهذا السؤال, وقد تكون الإجابة مختصرة, أو من أوجه عدة, معززة بأصول اللغة ونقل العلماء, واستشهادات تقدم دليلًا يسمح بقبول هذه الإجابة . وفي ضوء هذين الشقين, عنونت البحث بـ"الإجابات اللغوية عند الثعلبي في كتابه : الكشف والبيان عن تفسير القرآن" . وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم على تمهيد وثلاثة مطالب, ثم خاتمة, وثبت بمصادر ومراجع البحث. تناولت في التمهيد وقفة, سلطت الضوء منها على ترجمة للإمام الثعلبي, ومنهجه في تفسيره, ثم شرعت في المطالب التي تخص نقطة البحث ؛ فكان المطالب الأول يحمل عنوان:"الخطاب القرآني بين الإفراد والجمع" ركزت فيه على قضية انصراف هذا الخطاب بين هاتيك القضيتين, وأما المطلب الثاني ؛ فكان بعنوان:"تحديد الدلالة في ضوء السياق القرآني" تحدثت فيه عن دلالة المناسبة الصوتية, ومعاني بعض الحروف والكلمات ؛ وصولًا إلى المعنى المحدد, وأما المطلب الثالث ؛ فعنوانه : الذكر والحذف, ذكرت فيه دور ذينك مُجتمعَين أو مفترقَين في تخصيص الدلالة أو تعميمها, وعلة حذف بعض الحروف, ومتعلقات الأدوات وحذف الخبر, ثم اختتمت الدراسة بنقاط, أجملت فيها نتائج البحث التي توصلت إليها, ثم قائمة المصادر والمراجع, توجتها بكتاب الله سبحانه وتعالى, وبعده عنوانات مضان الدراسة, التي تنوعت شاملة بعض كتب التاريخ, والتراجم, وكتب اللغة والنحو, والتفسير, وعلوم القرآن, وغيرها. راجيًا من الله جل وعلا السداد والقبول في القول والعمل, وأن يغفر زللنا ويرأب سهونا, وأصلي وأسلم على نبي الهدى والرحمة محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقفة تمهيدية : الثعلبي, حياته وآثاره :

– اسمه ونسبه : هو أحمد بن محمد بن ابراهيم, ويكنى بابي إسحق, ويقال له : الثعلبي, بفتح الثاء المثلثة, فسكون العين المهملة, فاللام المفتوحة, قبل الباء الموحدة, وانتهاء بالياء المشددة. وهو لقب وليس نسب. أما نسبه فالنيسابوري, بفتح النون وسكون الياء, وفتح السين, وضم

الباء, وسكون الواو . وهذه النسبة ترجع إلى نيسابور, التي تعدُّ من أجمل مدن خراسان, وأعظمها, وأجمعها لخيرات البلاد, ونيسابور مكونة من : (ني + سابور) والأولى تعني القصب, وأما سابور؛ فالمقصود به ذو الأكتاف, وهو أحد ملوك الفرس المتأخرين ؛ حيث وصل إلى مكان فأعجبه ثم أُمر بقطع القصب وبناء المدينة ؛ فقيل : نيسابور [1].

– كتبه وآثاره : ذكرت المصادر أن لأبي إسحق الثعلبي كتبًا, أهمها : الكشف والبيان عن تفسير القرآن, كما سمي بتفسير الثعلبي, وعرائس المجالس في قصص الأنبياء, وربيع المذكرين, والتفسير الكبير, وتوضيح المشتبه, والكامل في علم القرآن[2] .

– أقوال العلماء فيه : وُصف الإمام الثعلبي في كتب التراجم أنه حبر العلماء ونجم الفضلاء بل بدرهم, وفخر الأئمة وزينتهم, وهذا الوصف للإمام الواحدي المفسر المشهور الذي رفع من شأن الثعلبي بمدح كتابه الكشف والبيان عن تفسير القرآن, فقال فيه:"رُفعت به المطايا في السهل والأوعار, وسارت به الفُلك في البحار, وهبت هبوب الريح في الأقطار"[3] كما وُصف الثعلبي بالأستاذ[4], ويقصد به الرئيس أو الماهر بالشيء[5] كما نُعت– رحمه الله– بالمقرئ والواعظ, والمعلم الأديب, والثقة الحافظ صحيح النقل, إلى جانب شهرته بالتصانيف الجليلة, وعلمه الواسع بوجوه الإعراب والقراءات ؛ حتى عُدَّ أوحدَ زمانه في علم القراءات, فضلًا عن غزارة روايته للحديث وسعة سماعه[6] كما قيل عنه : إنه رأس في العربية والديانة[7] .

– وفاته : توفي الثعلبي سنة سبع وعشرين وأربعمِائة (٤٢٧ هـ) بالاتفاق[8], أما اليوم والشهر ؛ فقيل : توفي في شهر المحرم من السنة نفسها[9], وقيل : توفي يوم الأربعاء من شهر محرم, لسبع بقين منه[10] . رحمه الله تعالى .

– منهجه العام في تفسيره (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) :

يتحدث الإمام الثعلبي في بداية كتابه عن سبب تأليفه له ؛ وذلك تقربًا غلى الله تعالى, ثم تلبية لحاجة الناس إليه, ورغبة في إجابة حقوقهم ؛ فاستخار الله جل وعلا ؛ فكان له ما نوى, ثم خرَّجه على أربعة عشر جزءًا, أو بابًا, اختص بعلوم القراءات , والحديث, والتصنيف, والتأويلات, والأحكام الفقهية, وما يتعلق بالتأريخ . وكانت علوم العربية نتاجًا ثريًّا في ضمن هذه الأبواب, حيث كان يعرض للمسائل اللغوية, شارحًا إياها, وربما يتوسع فيها, واقفا عند بعض الكلمات والحروف, يفسرها وينظر فيها, ويجعل حكمها متعلقًا بسياق الجملة أو النص القرآني السابق أو اللاحق, مرصِّعًا بعض هذه الوقفات بالإفادات النحوية والتركيبية, مستعينًا بهدي الاستشهاد من القرآن والحديث والشعر العربي, الذي شغل مساحة واسعة في تفسيره, حاجةً إليه في توضيح ما يود الكلام فيه أو يلزم تقريره .

المطلب الأول : (الخطاب القرآني بين الإفراد والجمع)

قبل البدء في مناقشة محاور هذا المطلب, أرى أن أُعرِّف بشيء يخص الجموع والإفراد, حيث إن الجموع في علم العربية على نوعين, هما : جمع التصحيح وجمع التكسير, والأول ما سلِم فيه بناء الواحد, وهو نوعان : جمع المذكر السالم, وجمع المؤنث السالم[11], وأما الثاني ؛ فالمقصود به ما دلَّ على أكثر من اثنين, يصاحبه تغيير في بناء المفرد, وهو عام يشمل الاسم في حال التذكير والتأنيث, وهو كما ذُكر لا يعتمد على زيادة تلحق المفرد, كالجمعين الأوليين, إنما يعتمد على تغيير في صورة المفرد, بالزيادة أو النقصان[12], وله أضرب, كما له أوزان, خاصة بجمعي القلة أو الكثرة, فصَّلتها كتبُ اللغة[13] . وأغلب صيغ جموع التكسير سماعي, لا يخضع إلى قياس ثابت[14] .وكان مما حفل به القرآن الكريم التنوع الحاصل من ضروب الخطاب الذي يوافق لغة العرب في الأساليب, حيث إن لهم سمتًا شائعًا في الوان خطابهم, يقوم أحيانًا على ذكر الواحد, وهم يريدون به الجمع, أو يسمون الجمع باسم المفرد, أو الآحاد, كما أنهم يلفظون الجمع, قاصدين به الفرد أو الواحد, وهذا الأمر مستفيض, على امتداد كلامهم وأشعارهم . ولم يأت القرآن بِدعًا بين لسان العرب ؛ بل جاء متناسقًا معه ؛ إذ ورد فيه ذِكر المفرد ؛ والمقصود به الجمع, كما جاء العكس من ذلك, فضلًا عن مجيء اللفظ المفرد دالًا على الاثنين, والعكس وارد أيضًا, وغير ذلك من التنوع الخطابي بين الإفراد والتثنية والجمع . بيد أن تخريج ذلك الخطاب ليس على وجه الإطلاق, بل هو مقيد بالتأويل المنضبط, وموارية الأوجه المقبولة عقلًا ونقلًا, بلا انفكاك . وأقرب مثال إلى ذلك قوله تعالى"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[15] ومعلوم أن الله واحد ؛ بدليل النقل والعقل . ومن نحو قولنا لشخص, أو شخصين, أو أكثر : السلام عليكم .ومما جاء متناغما مع ما سبق ؛ إجابات للإمام الثعلبي – رحمه الله – عن أسئلة تتصدر كثيرًا بعبارة : (فإن قيل) وبعدها صيغة السؤال . أو بعبارة : (لِمَ قيل) . ونقطة البحث تتعلق بما يخص اللغة, أو دور اللغة في الإجابة عن هذه الأسئلة, فهي نوع من التعليل لعبارات القرآن التي تثير تلكم التساؤلات . ودونكم محاور هذا المطلب :

أولًا– انصراف الخطاب عن الجمع إلى المفرد : ومن ذلك قوله تعالى:"وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[16], حيث يحُضر الثعلبيُّ سؤالًا, عِمادُه : لِمَ جاء لفظ الجمع (موازين) وإنما هو ميزان واحد ؟![17] ثم يجيب من أوجه, هي :

١- جواز أن يكون لفظه جمعًا, ومعناه واحد ؛ بدليل قوله تعالى :"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"(١٨), وقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ"(١٩) وهذه الالتفاتة تنبيه ضمني ؛ فالجواز مسموح هنا على حمل دليله من القرآن الكريم ؛ فـ (الناس) في الآية الأولى يراد بها رجل معين واحد ؛ وهو: نعيم بن مسعود الأشجعي, الذي حاول أن يبث الضعف ويثبط المسلمين عن القتال(٢٠)فالموازين مقصود بها الوزن, وقد يراد بهم ناسًا بأعينهم أرسلهم أبو سفيان ؛ لإشاعات مغرضة (٢١). **وأما الآية الثانية ؛ فلفظة (الرُسُلُ) تعود إلى نبي الله عيسى(٢٢) , عليه وعلى نبينا السلام .**

٢- الوجه الثاني : أُريد بالموازين الأعمال الموزونة, أو الحسنات, وهو قول مجاهد(٢٣), أو موازنة الحسنات مع السيئات . وربما يكون التأويل على حذف مضاف, أي فمن خفت كفة موازينه, اي موزوناته من الحسنات والسيئات, أو: فمن ثقُلت كفة موازينه ؛ فيكون (موازين) جمعًا لموزون, لا جمعًا لميزان(٢٤).

٣- الوجه الثالث : الأصل أنه ميزان عظيم, ونصيب كل عبد فيه ميزان خاص يتعلق به ؛ وعلى هذا فالجمع حقيقة(٢٥)

٤- الوجه الرابع : جُمع الميزان على موازين ؛ لأنه مشتمل على اجتماع ما فيه (الكفتين, والشاهين, واللسان) ولا يمكن تصور الوزن وحصوله ؛ إلا بهذا الاجتماع, هذا على رأي جمهور المسلمين الذين أثبتوا ما عُلم فيه من هذا الاجتماع، وأما المعتزلة ؛ فأنكروا ذلك(٢٦) .

٥- الوجه الخامس : أنه ميزان يضم موازين، منها ميزان العقل، الذي يفرق به بين الحق والباطل، وميزان العلم، الذي به يفرق الحلال من الحرام، وميزان الإرادة والمشيئة، الذي يفرق بين السعادة والشقاوة . ومنهم من فسر الوزن ؛ حملا على العدل والقضاء ؛ ذلك أن العدل لا يظهر إلا بالكيل والوزن ؛ فهو من باب الكناية، ويرفع هذا الرأي أن الرجل إذا لم يكن ذا شأنٍ، يُقال فيه : فلان لا يُقام له وزن(٢٧)، إذ هو سائغ على جهة ضرب المثل"كما نقول : هذا الكلام في وزن هذا، وفي وِزانه، أي يعادله ويساويه، وإن لم يكن هناك وزن"(٢٨) . إن ذكر هذه الأوجه والاحتمالات التي تتسع لها الدلالة اللغوية ؛ يُغني التدبر في الخطاب القرآني ؛ على ما تجيزه العبارة من الدلالة الحقيقية، أو الكناية، أو ما يحتمله التفسير، والله أعلم . ومما جاء من الخطاب بالجمع المصروف إلى المفرد ؛ قوله تعالى:"إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا "(٢٩) قال الثعلبي:"فإن قيل : فلِمَ أخرجه بلفظ الجماعة ؟ قيل : قد يرد الخطاب بلفظ الجمع المراد منه الواحد"(٣٠)، ويستدل بإجابته كالعادة ؛ من القرآن، فجاء بجزءِ آيةٍ بصيغة ضمير الجمع المنفصل الذي يعود إلى الله سبحانه وتعالى، وهي:"إنّا نَحْنُ"(٣١), ومعلوم – بما لا يقبل الشك إلا من جاحد أو مشرك – أن الله عز وجل واحدٌ لا شريك له . وقد أجاب سابقًا قبل السؤال, وجاء باحتمالين :

١- المراد بالملائكة ملكُ الموت, وقد ركن إليه, مستندًا إلى قوله تعالى:"قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ"(٣٢) فهو ملَك واحد.

٢- ويحتمل ان يكون غيره, ولكنه سبحانه وتعالى, لما أجمل الكلام في موضع, وفسره في موضع آخر ؛ عُلِم أن هذا الاحتمال لا يوازي قوة الاحتمال الثاني . ولعل أمرًا يخطر في البال ؛ وهو أن القرآن جاء بالفعل:(قالوا) ؛ ردًا على لفظ الجمع ؛ فحينئذٍ يكون الجمع حقيقيًا ؛ بمعنى أن الملائكة يقولون للمتوفين – بعد أن يقبضوا أرواحهم _ سؤالًا عن كينونة ظلمهم لأنفسهم, وهذا الأمر يقف هنا مع الاحتمال الثاني الذي أورده الثعلبي, بيد أن له مخرجًا, بابُه يؤدي إلى جواز أن يكون سؤال الملائكة –آنف الذكر – بعد أن يقبض ملك الموت أرواحهم . وقيل : إن لمَلَكِ الموت, المكلَّفِ بقبض الأرواح أعوانًا, فرجع الجمع إليهم, مع ملك الموت(٣٣) . ويبدو أن تخريج دلالة صيغتي الجمع بين الاسم(الملائكة) والفعل(قالوا) تأخذ منحىً آخر يقوم على ثلاثة , الأول : أن معنى (توفّاهمُ الملائكةُ) هو: تحشرهم إلى النار, حيث خرجت دلالة معنى الوفاة إلى الحشر, خروجًا كليًا عن المعنى الحقيقي لجذر الكلمة, لكن الأظهر أن المعنى : تقبض أرواحهم, والثاني أن خالق الموت اللهُ, والثالث أن منفذ أمر الله بالإماتة ملكُ الموت, وسائر من يعاونه هم الملائكة(٣٤), وبهذا يندفع الإشكال, والله أعلم

ثانيًا – انصراف الجمع عن شيئين, والمرادُ واحد : ومن ذلك قوله تعالى:"أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ"(٣٥) حيث أخبر الله تعالى– على اختلاف الأخبار– عن قصة عُزير, أو إرمياء, أو الخضر, أو على رجل شاك في البعث, ثم عظيم قدرته سبحانه, وآياته(٣٦) , وأما القرية ؛ فهي بيت المقدس, أو الأرض المقدسة, او دير هرقل, أو قرية قريبة من بيت المقدس(٣٧) .ولا يهمنا تعدد المسميات على الرجل او القرية, بقدر ما يهم كيفية خطاب الله سبحانه وتعالى هذا الرجل, الذي سأله : كيف يحيى هذه الأرض, وكانت خاوية, بعد هلاكها ؛ بظلم أهلها, حيث وقف ذلك الرجل متعجبًا, أو شاكًا في البعث ؛ فنزع الله منه روحه مئة عام, وكان معه حماره الذي

أماته أيضًا, وطعامُه المكون من عصير, وعِنب, وتين, ثم بعث الله الروح في الرجل ؛ فحسب أنه لبث يومًا أو بعض يوم . وفي الآية المباركة ردٌّ لتعجب الرجل, بشيء عجيب, لا يُقاس بالقوانين الفيزيائية للزمن, أو الحالة الطبيعية لتقادم الأشياء الحية والجمادات ؛ فالطعام لم يتحول, كذا الشراب, وكأن السنين لم تأت عليه ؛ فتغيّر خواصه . يقول الثعلبي:"فإن قيل:أخبر عن شيئين اثنين, ثم قال : لم يتَسَنَّه, ولم يُثنِّه"(٣٨) ويقصد بذلك أنه أخبر سبحانه عن الطعام أولًا, ثم الشراب ثانيًا, بصيغة الإفراد, أو أُخبر عن شيئين بصيغة ترجع إلى واحدة . وجواب هذا عنده : أن التغيير رجع إلى أقرب اللفظين, قاصدًا بذلك(الشراب) إذ اكتفى بذكر أحد المذكورين ؛ استغناءً عن الآخر ؛ لأنه يقع في معنى الثاني(٣٩).ويستدل الثعلبي على إجابته بقراءة ابن مسعود"فانْظُر إلى طَعامِكَ, وهذا شرابُك لمْ يَتَسَنَّ"(٤٠) . **وهذا الأسلوب في الإحالة الدلالية للكلمات جارية في القرآن الكريم, كقوله تعالى:"يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ"(٤١) فالضمير المجرور يرجع إلى ماءيَن, أو بحرين, أحدهما : عذب, والآخر مالح, واللؤلؤ والمرجان يخرجان من الماء المالح(٤٢) وغير ذلك مما ورد في كتاب الله(٤٣) ويذكر الثعلبي أن قوله:"يَتَسَنَّه" قُرأ : "يَتَسَنَّ" بحذف الهاء , ووصلها بما بعدها, وهي قراءة حمزة والكسائي, فيما قرأ الباقون بإثبات الهاء , وصلًا ووقفًا(٤٤)**, وهاتان القراءتان لا تضران إعادة الخطاب إلى المفرد, وهو الطعام دون الشراب, مثلما لا تضر قراءة طلحة بإدغام التاء في السين "يَسَّنَّ"(٤٥) ويبين الثعلبي وجه قراءة إسقاط الهاء في الوصل ؛ حيث مخرجها الصلة, ومحلها الزيادة ؛ رجوعًا إلى زيادتها في(سنة) من قولهم : سانيت, ودلت الفتحة على المحذوف ؛ لأن الفعل: يتسنى, فلما سُبق بأداة جزم, حُذف آخره, وجيء بالهاء مع الفعل المجزوم ؛ بدلًا من الألف, أو الياء – في الرسم – , أو على كون الهاء أصيلة في(سنة) ؛ لمن قال: سانهت(٤٦), ورأى الزجّاج – من قبلُ – أن الهاء مثُبتة ؛ للسكون , وأما الوصل ؛ فيحيل إلى حذفها(٤٧), والمعنى في كل ذلك : لم تغير السنون الشراب, وتقرير الخطاب عائد إلى الطعام والشراب, والله أعلم .

ثالثًا– انصراف الخطاب إلى غير مذكور: جاء هذا الخطاب في قول الله تعالى – آمرًا نبييه موسى وهارون– عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام"اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى"(٤٨), وحمل سياق الآيتين فعلين, بصيغة الأمر الواجب, إلى النبيين موسى وهارون, عليهما السلام, الأول أُكِّدَ بـ : (إنّ), والثاني مُؤَكَّدٌ بالمصدر الموصوف ؛ لبيان نوع المصدر (المفعول المطلق), ثم إتباعه بأداة الرجاء(لعل), ومعروف أن الرجاء من الله واقع ؛ وهذا يوجب أن يتذكر فرعون أو يخشى, بيد أن الأمر غير ذلك ! ؛ ففرعون – كما هو معلوم عند الله تعالى – لا يتذكر أو يخشى, فكيف جاء الخطاب بهذه الصيغة, أو الدلالة الواردة للنص ؟! وقد رفع الثعلبي هذا التساؤل إلى حيزه , ثم أجاب عنه ؛ بكون الخطاب مصروفًا إلى غير فرعون, وتأويل ذلك" لكي يتذكّر متذكّر, أو يخشى خاش, إذا رأى برّي وإلطافي بمن خلقته ورزقته، وصححت جسمه, وأنعمت عليه ؛ ثم ادّعى الربوبية دوني"(٤٩).وقد راجع سيبويه هذه الآية ؛ فرأى أن الخطاب موجَّه إلى إثبات الحجة على فرعون, وصيغة الرجاء المصدرة بـ:(لعل) تنصرف إلى موسى وفرعون ـ عليهما السلام ـ , على تقدير : اذهبا على رجائكما وأملكما(٥٠) ولم يخبرهما الله جل وعلا أن فرعون لا يؤمن ؛ حتى لا تنقطع الحجة, أو الرسالة(٥١) . وثمت مخرج آخر ؛ يرجع بالخطاب إلى فرعون, وباب هذا المخرج يؤدي إلى جعل(لعل) بمعنى الاستفهام ؛ على تأويل: هل يتذكر أو يخشى ربه ؟ ؛ فيراجعَ أمره, ويرتدع عن هذا الطغيان(٥٢) .

وهناك جانب أود الإشارة إليه, ذلكم هو الاختلاف الدلالي في سياق الآيتين الكريمتين ؛ إذ أتاح أن يكون الخطاب إلى شخص, أو أشخاص على طريق العموم أو الإطلاق, مع كون العبارة قد تكون إلى الطاغية فرعون . وعدم التصريح بهذا أغنى دلالة الخطاب ؛ لتكون مهيأة لغير مذكور في النص القرآني, إلى مذكور؛ بما يسمح به تأويل السياق, والله أحكم وأعلم بمراده سبحانه .

رابعًا : دلالة الجمع القليل على الكثير:

قال تعالى:"**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**"(٥٣) وهذه الآية نزلت في فئتين التقتا يوم بدر, الأولى نبينا محمد– صلى الله عليه وسلم– وأصحابه, وكان عددهم ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلا, والأخرى مشركي مكة، وكانوا تسعمئة وخمسين (٥٤) وقد اختلفت القراءات في قوله تعالى:" **يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ**" ؛ فمنهم من قرأها بالتاء(٥٥), وقرأ الأكثر على الياء(٥٦) ؛ فالذي قرأ بالتاء ؛ فالخطاب موجه إلى معشر اليهود والمشركين, أي : ترون أهلَ مكة مثلي المسلمين (٥٧) ومن قرأ بالياء ؛ فالمعنى أن الرؤية للمسلمين . وهذه الرؤية تتفرع إلى تأويلين ؛ أحدهما : أن المسلمين يَرون المشركين مثليهم في العدد، ومع ذلك فإنهم انتصروا, وهذه حسب الآية, وثانيهما : أن المسلمين يَرونَ المشركين مثلي عدد المسلمين ؛ أي ستمئة وستة وعشرين , حيث قللهم الله تعالى ؛ إذ كانوا ثلاثة أمثالهم(٥٨) . والسؤال المطروح من قبل الثعلبي:"كيف جاز أن يقول : مثليهم ؟ وهم كانوا ثلاثة أمثالهم"(٥٩) , أي كيف جاز أن يصف ثلاثة أمثال الموجود بأقل مما كانوا عليه ؟ ثم يجيب – رحمه الله بأن هذا يجوز, كما أنك تقول – وعندك عبد تحتاج إلى مثليه – أحتاج إلى مثلي عبدي ؛ فأنت في الحقيقة تحتاج إلى ثلاثة, وكذلك تقول: معي ألف, وأحتاج إلى مثليه ؛

فأنت في هذه الحال تحتاج إلى ثلاثة آلاف , فكما نويت أن يكون الألف داخل في المثل ؛ فإن المِثل يكون اثنين, والاثنين ثلاثة(٦٠) , ونُسب هذا التخريج إلى الفراء(٦١), أي تكون الحاجةُ إلى مثلي ذلك المثل ثلاثةَ أمثال, وهذا معنى لطيف ؛ كما يُقال : أراكم مثليكم, أي ضعفكم, والحاصل على معنى ثلاثة أمثالهم(٦٢). وللزجاج رأي يُبطل فيه ما نُسب إلى الفراء, ومن اقتفى تخريجه ؛ حيث يصف قوله بصيغة (زعم) ؛ فيرى أن العقل يوجب أن يكون مثل الشيء مساويًا له, أو ما يساويه, وأن يكون مثلا الشيء ما يساويه مرتين وعلى هذا الأساس فمن خرَّج معنى الآية على غير ما ذهب إليه الزجاج ؛ يبطل في اللفظ وفي المعنى, ولا يدل على إعجاز ثان للآية ؛ لأن المسلمين إذا رأوا المشركين على هيئتهم, وعددهم الحقيقي ؛ فليس له وجه إعجاز ؛ لأن غلبة القليل ونصرهم على الكثير ؛ قد يوجد في الواقع, ولا يُنكر, وإنما مجاز الآية أن المشركين لما كانوا على عددهم(تسعمئة وخمسين) وكان المسلمون ثلاثمئة أو يزيدون قليلًا ؛ أرى اللهُ المشركين المسلمين أقلَّ من عددهم ؛ ليجترؤوا عليهم في القتال, ثم أرى اللهُ المسلمين المشركين مثلي عددهم, او يضعفون عليهم ؛ بما يساوي عددهم . وقد اخبر الله تعالى من قبل أن المئة تغلب المئتين ؛ فالخطاب على هذا لا يرجع إلى ثلاثة أمثال المسلمين ؛ بل – عند الحساب – يكون المشركون ضعفي عدد المسلمين . والآيةُ في أن فئة المشركين, مع ما يرون من قلة المسلمين ؛ إلا أنهم أُصيبوا بالرعب والهلع ؛ فجُعلوا يرون القليل مع الرعب ؛ حتى غلبهم المسلمون(٦٣), وعلم الأمر كله عند الله جل وعلا .

خامسًا– تذكير العائد إلى الجمع المؤنث : قد يرجع الضمير المذكر إلى ما هو مؤنث, وهو أمر شائع في كتاب الله تعالى, وفي لغة العرب, بما يستساغ له الوجه المسموع به . ومن ذلك ما أمر به الله تعالى بني اسرائيل بذبح بقرة ؛ فشددوا في السؤال عنها ؛ فشدد الله عليهم في أوصافها؛ حتى قالوا:"إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ"(٦٤), وكما هو معهود ؛ فإن (البقر)جمع لــ(بقرة) وهو اسم جنس جمعي, يُفرَّق بين آحاده بالتاء(٦٥) , وأصله مؤنث, فكيف جاز أن يرجع الضمير المذكر في الفعل إلى المؤنث ؟ والمقبول بلا شبهة في نظائره أن يقال: تشابهت, بتاء التأنيث . هذا التساؤل جاء عند الثعلبي(٦٦) , حين وظف اللغة وقوانينها مع سعتها, في تفسير بيان القرآن الكريم, وتقريب المعنى الواضح , لمن يطرأ عليه هذا الاستفهام .وقد أجاب على هذا الاستفهام من بما يأتي : تذكير الضمير ؛ لتذكير اللفظ, واحتج بقوله تعالى:"كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ"(٦٧), وله أمثال غير ذلك في كتاب الله جل وعلا(٦٨) كما ذكر أن كل جمع تقلُّ حروفه عن حروف المفرد ؛ تذكِّره العرب ؛ نحو : بقر, وسحاب, وتمر,(٦٩) على أنه ورد في مصحف أُبيّ"تشابهتْ" وحينئذٍ يتلاءم – هنا – التأنيث مع الجمع لفظًا(٧٠) . ولإمام النحاة سيبويه رأي عام شامل في يتعلق بهذه المسألة ؛ مجملُه أن الأشياء جميعها لها أصل هو التذكير ؛ لأن مفرد الجمع شيء، والشيء مذكر، وهو أشدُّ تمكينا، ثم تختص بعد ذلك (٧١) ، وهو رأي مُتقبل وسديد . إذن رجوع الخطاب بالتذكير إلى اللفظ الموجود والمعنى على التأنيث .

سادسًا – الانزياح الخطابي (الخطاب المقلوب) :قد يأتي الخطاب معكوسًا (مقلوبًا) ولتفسير ذلك ؛ نورد قوله تعالى – حكاية عن الملك قارون– :"إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ"(٧٢)، والعصبة من عشرٍ إلى أربعين، أو ستين، أو سبعين، فإذا كانوا كذلك ؛ فهم أُلو قوة . ومعنى الآية أن أُولي القوة لتعجز عن حمل خزائن قارون(٧٣) أو المعنى لَتثقلُ وتميل بهذه العُصبة أُولي القوة ؛ حين يحملونها(٧٤), وقيل : إن المفاتيح هي الخزائن(٧٥) قال الثعلبي:"فإن قيل : فما وجه قوله تعالى:(مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ), وإن العصبة هي التي تنوء بها ؟"(٧٦) ويجيب عن هذا التساؤل بنقطتين : الأولى: أن المفاتيح أو الكنوز تميل بهم، ويثقلهم حملها، والأُخرى : هي كما تفعل العرب في مثل ذلك في خطابهم ؛ فهم يقولون للمرأة : إنها لتنوء بها عجيزتها، والواقع أنَّ المرأة تنوء بعجيزتها، كما يقال للبعير : إنه ينوء بحمله(٧٧) . والنقطة الثانية هي محور البحث ؛ إذ هو من المقلوب، والتقدير"ما إنَّ العُصبة لتنوء بها، يقال : ناء فلان بكذا، إذا نهض به مُثقلًا"(٧٨) ويرى ابن عطية أن معنى تنوء : تنهض بتكلف ؛ وهو نوع قلب يحيط بالكلام ؛ لأن العصبة هي التي تنوء بالمفاتيح، وليس العكس(٧٩) . والاطمئنان إلى جواب الثعلبي وأقوال العلماء ؛ يقرره التوافق الحاصل بين لغة القرآن والأسلوب الخطابي أو الخبري لدى لسان العرب .

المطلب الثاني – تحديد الدلالة في ضوء السياق القرآني :

يتحكم السياق القرآني في تنويع الدلالات الواردة فيه, وتتحدد الدلالة بسلطة هذا السياق, بين الوجوب أو الجواز, وفق الاستعمال البياني, وتعاور صيغ الكلِم, أو عزل المعنى الجزئي عن المفهوم الكلي للفظة ؛ بما يتناسب ومقصود الخبر, أو الخطاب, أو اختزال القيمة الإيقاعية, بمفهومها الخاص, وِفاقًا لاتساق النص القرآني في مقصده العام أو الخاص . وفيما يلي مناقشة هذه المعطيات مما أورده الإمام الثعلبي عن طريق الأسئلة التي أجاب عنها, في معرض تفسيره لآيات كتاب الله عز وجل .

أولًا- عِلَّة الشبَه بين مفتتح سورة (يس) وسورة (النمل) : افتُتحت سورة (يس) بقوله تعالى"يس"[٨٠],وهي آية مستقلة فيها, بينما افتتحت سورة النمل بقوله تعالى:"طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ"[٨١]. ومع كون الآيات توقيفية ؛ إلا أننا نجد الإمام الثعلبي يورد استفهام السائل : لِمَ عُدَّتْ لفظة:"يس" آية ؟ على حين لمْ تُعدَّ لفظة:"طس" آية مستقلة ؛ فيجيب بجواب تابع ما تفرَّد به الإمام ابن فورك في تفسيره[٨٢] . وملخص الإجابة: أن لفظة:"طس" تشبه لفظة:"قابيل" ؛ فكلاهما على الوزن نفسه, وصِيغةِ الحروف الصحاح . أما:"يس" ؛ فأوله حرف علة ؛ ولا يوجد مثله في الأسماء المفردة ؛ فأشبه الجملة والكلام التام ؛ وشاكل نطقه رؤوس الآيات من بعده[٨٣] . وجدير بالتنبيه أن المفسرين جلَّهم ؛ رفضوا هذا القياس اللغوي والدلالي ؛ فلا سبيل عندهم إلى معرفة الآيات القرآنية إلا عن طريق التوقيف ؛ فلا القياس ولا الرأي يوجبان التحكم في تحديد مواقع ألفاظ التنزيل الحكيم ؛ إذ لوكان أمر هذا القياس حاضرًا, وعِلَّة الشبه حاكمة ؛ لعُدَّتْ:"المر"[٨٤] آية ؛ قياسًا على قوله تعالى:"المص"[٨٥] إذ الأولى وأعني "المر" جزءٌ من آية مفتتح سورة الرعد . والأمر مثله في قوله تعالى:"حم * عسق"[٨٦] فإنما هما آيتان ؛ بينما يوجد على زِنتها قوله تعالى:"كهيعص"[٨٧] ومع ذلك فهي آية واحدة . إذن المسالة توقيفية ؛لامجال للقياس فيها على الزنة, أو المناسبة الصوتية[٨٨] وثمة قول يحضر ؛ للفائدة, ذلكم أن معرفة بداية الآيات, او انتهائها ؛ يرجع إلى ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم, فما ثبت انه وقف عليه على الدوام ؛ فهو رأس آية , وما وصله على جهة الدوام ؛ ليس آيةً, وجواز الأمرين على الوقف والوصل غير المطردَين[٨٩] والراجح في ذلك أن علم معرفة وقف الآي مسالة توقيفية بحتة ؛ لا يتدخل القياس فيها . والله أعلم .

ثانيًا- معنى (عسى) :ذهب الجمهور إلى أن (عسى) فعل ؛ بدليل اتصال الضمائر بها(ضمائر الرفع) . وهذا الفعل يرد لمعاني تُجمع في معنيين, هما : الرجاء والطمع أو الإشفاق . والرجاء في أمر محمود، والإشفاق من أمر مكروه، وقد اجتمع في قوله تعالى:"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ" [٩٠]، وربما جاءت في كلام العرب لليقين[٩١] . وأكثر ما يقترن اللام بخبرها، وربما يحذف قليلًا[٩٢]وجاءت (عسى) في القرآن الكريم في مواضع، عددها ثلاثون موضعًا، بدايتها في سورة النساء، ونهايتها في سورة القلم . وما ورد منها من الله عز وجل واجبٌ، لأنها طمع، والإطماع منه سبحانه واجب[٩٣] . ويرد بعض الإشكال في قوله تعالى:"فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا"[٩٤]، ويثير هذا الإشكال تساؤلاً، جوهرهُ : كيف لـ:(عسى) الواجبة من الله أن تأتي هنا والكافرون في بأسٍ وشدَّة؟ فيجيب الثعلبي عن هذا السؤال بحكم سياق الآية . إذ جاء سياق (عسى) في الآية مرتبطًا بكف البأس يوم بدر الصغرى والحديبية، وقد استشهد الثعلبي بقوله تعالى:"وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ"[٩٥]، فالآية خاصة بهاتيك الواقعتين[٩٦] فهي حينئذٍ واجبة على خلاف مجيئها عند البشر، وقيل : دلالتها في من ضُربت عليهم الجزية من الكفار[٩٧] . كما يجيب الثعلبي من وجه أنه أُريد به المدة التي يتلازم معها أمر الله بقتال الكفر ؛ ليزول كله، وهو وقت نزول عيسى(عليه السلام) ؛ وحين ذلك يظهر دين الله ويزول البأس[٩٨] وأميل إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري من أنها عامة[٩٩]؛ لأن التخصيص يحتاج إلى حجة واضحة, ودليل بيّن, لا يجاريه احتمال .

ثالثًا- معنى : كاد, وأخْفِي : السؤال وجوابه في هذه المسألة يخص نقطتين, أو دلالتين, هما : دلالة(كاد), ومعناها, ودلالة الفعل(أخفي)بضم الهمزة, أو فتحها . والحديث عن النقطة الأولى يوجب الرجوع إلى معناها الأصلي, ثم السياقي, وكذلك الأمر نفسه في النقطة الثانية ؛ فمعنى (كاد يفعل) : قارب أن يفعل حصول الفعل, ومعنى(ما كاد يفعل) : لمْ يفعل, ولم يقارب الفعل, وخبرُها في كلا الحاتين منفي . ومجيئ (كاد) بعد أدوات النفي أبلغ ؛ لأن عدم مقاربة حصول الشيء أبلغ من عدم حصوله[١٠٠] . وأما(أخفى) ؛ فمرجعه إلى الخاء والفاء , ويُقال : خفا البرق, ويخفى ؛ إذا ظهر من الغيم, وأُخفي الشيء في نفسي أُسِرُّه[١٠١], ويرى ابن دريد أنَّ أَخفيت الشيء وخفيتَه بمعنى : أظهرته[١٠٢], وجعل ابن فارس مادة الفعل (الخاء والفاء والياء) أصلين متباينين, على الضد ؛ الأول بمعنى الستر, والثاني بمعنى الإظهار, وعلى الول يُقال : أخفيت الشيء ؛ فهو في خَفية وخفاء, إذا سترته, وعلى الثاني يُقال : خفيت الشيء – بغير ألف – إذا أظهرته[١٠٣] . إذن اللفظ يحمل الشيء وضده(الإخفاء والإظهار) أو موضع كتمان وسلب, وموضع إظهار وإيجاب ؛ حال حروف الأضداد[١٠٤].ومما أشكل مسألة ورد في قوله تعالى"إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى"[١٠٥] فيرى الثعلبي أن (أُخْفيها) بضم الألف ؛ بمعنى الإخفاء, أي الستر, ويرى أن (أكادُ) صلة, ويحيل إلى ابن عباس, وأكثر المفسرين أن معناها : أكاد أسترها, أو أُخفيها في نفسي, وفي بعض المصاحف تحمل معنى الاستفهام ؛ بمعنى : أكاد أُخفيها من نفسي, فكيف يعلمها مخلوق؟ أو : كيف أُظهركم عليها؟[١٠٦], وهي بهذا التقدير تحمل – بلا شك – معنى الإخفاء. وصيغة السؤال, يتعلق بكون (أخفيها) بمعنى : أسترها ؛ ومعلوم أن خالق الإخفاء هو الله سبحانه, فكيف يخفيها من نفسه عز وجَّل ؟! فيجيب الثعلبي بجواب, غاية في الدقة ؛ ينكشف به الإشكال, وجوهر الإجابة أن الله سبحانه كلَّم العرب بلسانهم الذي يعهدونه, ومثال

ذلك : أن الرجل قد يعذل أخاه في إذاعة السرّ ؛ فيقول له : قد أذعت سري ؛ فيجيب : والله لقد كتمت سرَّك من نفسي, فكيف أذعته ؟! ؛ أي أنه أخفى السرَّ الإخفاء كلَّه[١٠٧] وهذا مجاز الآية على قراءة أمصار الإسلام بضم الألف في (أخفيها)[١٠٨] لا على كونها بمعنى الإظهار, لأصل الثاني الذي جاء عند ابن فارس في مقاييس اللغة آنفًا . ويُروى عن سعيد ابن جبير أنه قرأ :"أَخفيها" بفتح الألف, على كونها بمعنى : أُظهرها[١٠٩] ؛ وعلى هذا فإن الفعل المتصل باللام (لِتُجْزى) متعلق بالإظهار ؛ فالإظهار للجزاء, وهو الأمر الذي أكده الثعلبي ؛ حين جعل قراءة سعيد مأتية من : (خفيت) وليس من : (أخفيت) ؛ لأن الأولى لمعنى الإظهار, والثانية لمعنى الإسرار[١١٠] ؛ غير أن بعض اللغوين منع هذا التخريج ؛ لأن الفعلين (خفيت و أخفيت) من الأضداد ؛ فيجوز فيهما الإظهار والإخفاء[١١١], ويبدو أن الثعلبي لم يُشر إلى الرأي المقيَّد عند بعض المفسرين واللغويين ؛ وهو أن هناك إضمار بعد الفعل (كاد) وهذا الإضمار مقيد بقراءة جمع الأمصار(أُخفيها) بضم الألف ؛ التي تكون للإخفاء, لا على القراءة الشاذة بفتحها, على معنى الإعلان أو الإظهار؛ وعلى هذا الأساس ؛ يكون التأويل : إن الساعة آتية أكاد آتي بها[١١٢], وهنا تمام الآية, أي إن تمام الوقف يكون عند نهاية ما أُضمر بعد (كاد) . ثم الابتداء يكون بـ : (أُخفيها) أي أسترها, وهو تأويل مقبول ؛ لأن الله جلت حكمته قد أخفى الساعة ؛ ليكون ذلك مدعاة للعمل, وتعجيل التوبة[١١٣], وحينئذ يكون معنى (أكاد) أن الله عز وجل قارب ولم يفعل . وهو أعلم سبحانه بما يفعل .

رابعًا – معنى (ثُمَّ) : تأتي (ثُمَّ) حرفَ عطف لمعنيي الترتيب والتراخي ؛ فإذا قلنا: جاء زيد ثم قعد ؛ فلا يكون القعود إلا بعد المجيء, وهذا هو الأصل فيها . وما جاء خلاف الأصل تأوله الجمهور[١١٤], وثمّة من يجعلها بمنزلة الواو ؛ أي للجمع المطلق بلا ترتيب . وزعم بعضهم أنها تقع للترتيب بلا مهلة ؛ كما هو الحال عند حرف المعنى (الفاء)[١١٥] . واختلاف الأحوال والمواقع يحكمها السياق, وأساس الحكم يستند أولًا على جعلها في كفة الترتيب بلا مهلة, وفي الكفة الأخرى ما خرج عن هذا الأصل أو الأساس ؛ وهذا يحتاج غلى الدليل المقنع . وفيما يأتي نقف عند هذه الاحتمالات : قال تعالى:"وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ"[١١٦], ومعنى الآية عقلًا ونقلًا أنَّ خلق بني آدم كان بعد أمرِ الله سبحانه بالسجود لآدم, أي أننا خُلقنا بعد ذلك الأمر. فإذا كانت (ثُمَّ) للترتيب ؛ فكيف تُفهم الآية ؟ والجواب عند الثعلبي موضّح لفكِّ ما تحتمله الآية, حيث حمل الآية على التقديم والتأخير, أو على جعل الخلق والتصوير راجِعَين إلى آدم ـ عليه وعلى نبينا السلام ـ , كما أنَّ شخصًا يقول : قد ضربناكم ؛ وإنما المضروب واحد . ومن أجوبته الأخرى حمل (ثُمَّ) على الواو, عن طريق المجاز[١١٧] . وللتوضيح أكثر فإن أركان إجابة السؤال عند الثعلبي تقوم على النقاط الآتية :

١- التقديم والتأخير, فالخلق والتصوير كان ؛ بعد أن أمر اللهُ سبحانه الملائكة بالسجود, والتقدير_ والله أعلم- : ولقد خلقناكم- والخطاب لآدم – ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم, ثم صورناكم[١١٨] .

٢- الخلق والتصوير يرجع إلى آدم ـ عليه السلام ـ وبعد ذينك الأمرين أمر الملائكة بالسجود له[١١٩] ؛ لأن (ثم) تأتي للإيذان بانقطاع الذي بعدها عما قبلها[١٢٠].

٣- يُحتمل أن تكون (ثم) بمعنى الواو, ونُسب هذا القول إلى الأخفش[١٢١]. وقد خطأه غير واحد ؛ فلم يجيزه الإمام الطبري, حتى لوكان له مثال من لغة العرب ؛ لأن ما جاء عندهم على نيابة الواو عن (ثم) شاذ ؛ وغير جائز أن يُوجَّه شيء من القرآن على الشاذ من لغة العرب, ولاسيما أن له في الأفصح معنى مفهوم[١٢٢]. وما أطمئنُ له رأي الزجاج ؛ في كون ترتيب الأفعال في العبارة على النحو الآتي : خلق الله آدم من تراب ؛ ثم وقعت الصورة بعد هذا الخلق ؛ ثم أمر اللهُ سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم[١٢٣] .

خامسًا-٠ الجالب للباء :

تكون الباء حرفًا من حروف المعاني. وهي تختص بالاسم وتلازم جره, وهي نوعان : زائدة, وغير زائدة, وهذه(غير الزائدة) تأتي للإلصاق والاختلاط, ومجيؤها على هذا النحو أصل فيها, ويتفرع منه باقي المعاني الدقيقة, على وجه الحقيقة أو المجاز[١٢٤] ؛ كالتعدية, والاستعانة, والتعليل, والمصاحبة, والظرفية, والبدل, والمقابلة, والمجاوزة, والاستعلاء, والتبعيض, والقَسَم, وبمعنى (إلى) . وهذا التنويع يعود إلى مذهب الكوفيين في تعدد معانيها, وأما البصريون ؛ فيرون إبقاء معناها الأول عليها, اي الإلصاق, وأما الزائدة ؛ فهي تعود إلى مواطن : (الفاعل, والمفعول, والمبتدأ, والخبر, وعلى النفس, والعين, والحال المسبوقة بالنفي)[١٢٥]. وجاءت الباء في كتاب الله تعالى بكثرة, وسأذكر منها ما يخص نقطة البحث, وتحديدًا في قوله تعالى:"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[١٢٦], حيث وردت الباء في قوله: بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ, للمصاحبة ، وهو وجه خالٍ من المحذور في معناها[١٢٧], ولكن ما وقع فيه كثير خلاف هو الجالب لها, فما الذي جلبها ؟ على حد السؤال الوارد في تفسير الثعلبي, ويجيب صاحب

التفسير من أوجه, أرجعها إلى الاختلاف في جالبها ؛ فقيل : جالبها قوله(أرسلنا) فهي من صلة هذا الفعل, و(إلا) الواردة بمعنى (غير) على تقدير :"وما أرسلْنا من قَبلك بالبينات غير رجال نوحي إليهم, ولم نبعث ملائكة, وهذا كما تقول: ما ضرب إلا أخوك عمرًا"[١٢٨] , أي : ما ضرب عمرًا غير أخيك . والوجه الآخر:"إنما هي على كلامين ؛ يريد : ما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا, أرسلناهم بالبينات والزبر"[١٢٩] . ومن هذين الوجهين يظهر وجه آخر ضمنًا ؛ وهو أن في الآية تقديم وتأخير ؛ كما يظهر في الوجه الأول, أو معه, بتقدير محذوف ؛ وهو متعلق الجار والمجرور (بالبينات والزبر), وهذا المحذوف دل عليه(أرسلنا), والتقدير: أرسلناهم بالبينات والزبر[١٣٠], ولم يختر الثعلبي أيَّ القولين, ولم يُخطِّئ كلَّ من قدَّر الآية على أوجهها المحتملة, وأظن أنَّ السببَ خشيةُ أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم. ويظهر أن لغيره ممن نظر في حديثًا آخر ذا فائدة ؛ يلتقي مع إجابة الثعلبي, ويزيد في توضيح الإشكال؛ انطلاقًا من سياق الآية, ومساحة التأويل الخاص باللغة العربية ؛ فقيل: إنَّ جالب الباء مُختلَفٌ فيه عند أهل العربية ؛ فمنهم من وجهها على كون(بالبينات) من صلة (أرسلنا), و(إلا) بمعنى : غير, ويقوي هذا المعنى أن (إلا) مسبوقة بجحد ؛ وهذا التخريج يتوافق مع الوجه الأول الذي جاء به الثعلبي[١٣١], وقيل إنَّ الجار والمجرور له أن يتعلق بمحذوف ؛ يتناسب مع معنى الإلصاق للباء, والتأويل : ملتبسين بالبينات ؛ فيكون هذا المتعلق صفةً لـ : (رجالًا), ويمكن له أن يتعلق بـ : (أرسلنا) ؛ بيد أن هذا الأخير يشوبه الضعف ؛ لأن الكلام تم عند ما قبل (إلا) وما يليها ؛ الأمر الذي يوجب أن لا يعمل ما قبل(إلا) بما بعدها, حين تمام الكلام, وهذا أمر ثابت عند البصريين, وما جاء غير ذلك ؛ قُدِّر له عامل . ومنهم من يرى أن الجار والمجرور يتعلق بالفعل(أرسلْنا),على نية التقديم قبل أداة الاستثناء(إلا), والتقدير: (وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالًا نوحي إليهم)[١٣٢] ؛ حتى لا يكون بعد(إلا) معمولان متأخران لفظة ورتبة داخلان تحت الحصر لما قبل(إلا) .وهناك وجه يؤدي إلى جعل الجالبَ للباء الفعلَ, أو أن الباء زائدة ؛ وسبب الزيادة فيها على كون (البينات) فاعلًا, وهو ما ذكرتُه في تأصيل زيادة الباء على الفاعل . وهناك وجه يحيل إلى أن الجالب للباء محذوفٌ, حالٌ مما قام مقام الفاعل ؛ وهو(إليهم), وهذا الوجه ضعيف جدًا . ويضاف إلى هذه الأوجه آخر, مفاده أن الجالب للباء متعلق بـ (إنْ كُنتمْ لا تَعْلَمون) الوارد في نص الآية ؛ على اعتبار أن الشرط جاء لمعنى التبكيت والإلزام. وآخر هذه الأوجه أن ما جلب الباء محذوف, وهذا المحذوف جواب لسؤال ؛ كأنه قيل : بِمَ أُرسلوا ؟ ؛ فقيل : بالبينات والزبر[١٣٣] . ولم يذكر الثعلبي من هذه الأوجه إلا ما رآه قويًّا صالحًا حسنًا, والله أعلم .

وقريب من الوجه الذي حضر فيه الشرط عنصرًا فاعلًا ؛ قوله تعالى:"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا"[١٣٤] حيث سأل سائل عن العلة التي جلبت الفاء ـ التي للتعقيب ـ في لفظة (فقل)علمًا أن كل سؤال في القرآن لم يُسبق بأداة شرط ؛ أُجيب عنه بصيغة (قُلْ), فلِمَ جاءت الفاء ـ هنا ـ مع خلو الآية من أداة الشرط ؟ وقد أجاب الإمام الثعلبي عن هذا السؤال, حيث ذكر ورود كلمة(قل) بعد أسئلة تقدمت سألوا بها النبي صلى الله عليه وسلم, فجاء الجواب عقيب السؤال, لكن الأمر هنا مختلف ؛ حيث إن السؤال لم يسألوه بعد, لكن الله سبحانه علِم أنهم سيسألوه ؛ فأجاب سبحانه قبل سؤالهم, والتقديرفي الجواب على أساس المعنى المتضمن فعلَ الشرط ؛ أي : وإن سألوك عن حال الجبال أو عن الجبال ؛ فقل : ينسفها ربي نسفًا[١٣٥] وقد تم ذلك ؛ حيث سألوا النبي صلى الله عليه وسلم بم جاء في الآية المذكورة .

المطلب الثالث : الذكر والحذف :

يُقصد بالذكر أن يكون اللفظ أو الكلِم أو الكلام على ظهور مخطوط, أو منطوق, أو مسموع . أما عكسه ؛ فهو الحذف, وهو من الأبواب الدقيقة في اللغة العربية, لاسيما لغة القرآن الكريم, ومن كرمه أن أتاح ذلك المأخذ اللطيف العجيب في أمره, وكأنه ضرب من السحر؛ حين يكون ترك الإفصاح لغةً راقية أبين من الذكر وأفصح, وقد يكون الصمت أسخى وأعمق في الإفادة"وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق, وأتمَّ ما تكون إذا لم تُبِن"[١٣٦] . ويعم هذا الموضوع مفاصل اللغة كلها, على مستوياتها المعروفة(الصوتية, والصرفية, والتركيبية, والدلالية, وما جاد به الدرس اللغوي الحديث). وما جاء في ضمن هذه الوقفة أسئلة أجاب عنها الثعلبي, تخص العموم والخصوص, وحذف المفردات, او الجمل وغيرها, وعلى ما يأتي :

أولًا ـ ذكر العام, وإرادة الخاص :إذا قام الدليل على إرادة المعنى العام بالسياق اللغوي ؛ فهو قطعي الدلالة, أما إذا لم يقم الدليل ؛ فربما يُراد بهذا العموم خصوصًا في محله المناسب ؛ وذلك كقوله تعالى:"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"[١٣٧] كما قال تعالى:"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"[١٣٨] فإن قيل : قد يُدعى الله سبحانه وتعالى كثيرًا ؛ فلا يجيب, فكيف ذلك؟[١٣٩] وقد أجاب الثعلبي عن هذا التساؤل من طرق عدة, أولها : أن معنى الدعاء هنا الطاعة, ومعنى الإجابة هنا الثوابُ, وكأن التقدير: أجيب دعوة الداعي ؛ بالثواب إذا أطاعني[١٤٠], ويبدو من هذا التقدير أن معنى الدعاء تحول في الآيتين إلى العمل بما أمر الله إليه, وكأن التأويل أن الله سبحانه قريب ممن أطاعه, مجيب بالثواب على هذه الطاعة ؛ وعلى هذا يكون معنى الدعاء سؤال العباد ربَّهم بأن يثيبهم على طاعته,

ومعنى الإجابة الوعد منه سبحانه للعاملين بما أمرهم ونهاهم(١٤١). وثاني جواب الثعلبي أن معنى الآيتين خاص, وإن بدا أن ألفاظهما عامة, وعلى هذا الجواب ؛ فمعنى الدعاء والإجابة يرجع إلى المعنى الشرعي والعرفي لهما, ومخرج الخصوص مأخوذ من تقدير : أُجيب دعوة الداعي إن شئتُ, كما أجيبه إذا وافق القضاء, وأجيب دعوته إذا لم يسأل شيئًا مُحالًا, وأجيب دعوة الداعي إذا كانت الإجابة له خيرًا(١٤٢) فذِكر العام على هذا التقدير مخصص بأدوات الشرط التي تخصص الدلالة . وثالث إجابات الثعلبي أن المعنى على العموم . أما إعطاء الإجابة وقضاؤها ؛ فليس مذكورًا, وإنما هو خبر من الله سبحانه بأن الإجابة كائنة لا محالة ؛ عند حصول سببها .

ثانيًا- ذِكر الخاص بعد العام : وذلك حين تكون دلالة العبارة عامة, ثم يخصصها بالذكر ؛ لا على وجه الحذف أو التقدير, كما قال سبحانه:"فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ"(١٤٣) وقد خص الله تعالى التجارات ؛ لأنها من أعظم مشاغل بني البشر عند الصلاة . والتجارة ما يُتجر به(١٤٤), أو التصرف في راس المال ؛ لغاية الربح(١٤٥), فهي اسم يقع على البيع والشراء, فإذا كانت دلالة اللفظ على هذه الصورة ؛ فلماذا ضُمَّ البيع إلى التجارة, علمًا أنه جزء من التجارة ؟ وبمعنى آخر: إن لفظة التجارة عامة, تشمل البيع والشراء, فلماذا خُصِّص البيع وحده ؟ ولهذا السؤال أجوبة, اختار منها الإمام الثعلبي واحدًا, مفاده : أنه أراد بالتجارة الشراء ؛ فيكون سياق الآية على الثنائية الناتجة من التجارة(١٤٦), ويكون المعنى : لا يلهيهم الشراء أو البيع عن ذكر الله(١٤٧) . إلا أن لبقية المفسرين قول يُفهم من وراءه أن التجارة تقترن بالسفر, وأن البيع محله الحَضَر, أو أن لفظة التجارة تحتمل الشراء وحده ؛ كقوله تعالى:"وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا"(١٤٨), أو مجيء ذِكر البيع ؛ كونه قد يراد به غير التجارة, أو هو نوع مبالغة في التعميم ؛ فالآية عامة, وما جاء من تخصيص بعدها تأكيد لهذا العموم, إن أُريد مطلق المعارضة, وجاء التخصيص لغرض بيان أهم شيء في التجارة, وهو البيع ؛ فلا يتحقق إلا بها, ولكنه يُتوقَّع بالشراء(١٤٩) . والظاهر أن هذا من إطلاق العام الذي يراد منه الخصوص ؛ من باب مغايرة التجارة والبيع ؛ فالتجارة معناها الشراء ؛؛ ثم قوبلت بالبيع, أو لكون دلالة التجارة الجلْب, أي جلبُ الشراء للبيع. ولما كان الإلهاء أدخلَ في البيع, لا في ما لا يتوقع ؛ خُصص البيع المؤدي إلى الربح(١٥٠).

ثالثًا- الإشارة باللفظ الواحد إلى الكل : تحدث الثعلبي عن قضية افتتاح بعض السور القرآنية بالحروف المقطعة, وابتدأ ذلك الحديث والتوضيح عن مستهل سورة البقرة"ألم"(١٥١), حيث ذكر اختلاف العلماء والمفسرين والرعيل الأول, ممن عاصر القرآن وبعده ؛ إذا استقر بحديثه على أنها إظهار لإعجاز القرآن, وصِدق النبي صلى الله وسلم(١٥٢) وهي تعبّر في اتجاهها نيابة عن حروف العربية الثمانية والعشرين(١٥٣) , ومثل هذا الاتجاه أن العرب تعبّر ببعض الشيء عن الكل ؛ وبذلك جاءت أشعارهم(١٥٤), ونزل القرآن بنحو ما جاء عند العرب في لسانها ؛ فعبَّر عن الصلاة بالركوع(١٥٥), كما عبر بها بالسجود(١٥٦) ؛ لأن الركوع والسجود من أركان الصلاة ؛ كما عبَّر عن جميع البدن باليد(١٥٧), وعن جميع الوجه بالأنف(١٥٨), وكما يقول القائل : تعلمت أ, ب, ت, ث ؛ وهو يريد غير هذه الأربعة أحرف, أي يريد جميع أخواتها معها, وكا يقول : قرأت"الحمد" وإنا يقصد جميع السورة, ونحو هذا كثير(١٥٩) , وعلى هذا التأصيل جاءت هذه الحروف المقطعة من جملة الثمانية والعشرين حرفًا التي هي حروف المعجم, وعليها مباني أكثر كلام العرب, بغض النظر عن الاختلاف اللهجي والصوتي لبعض هذه الحروف, أو الأصوات الأخرى. يقول الثعلبي:"فإن قيل: فهل يكون حرفًا واحدًا مؤديًا للمعنى؟ وهل تجدون في كلام العرب أن يُقال : ألم زيد قائم ؟ وحم عمرو قائم ذاهب؟"(١٦٠) وقد أجاب على هذه الأسئلة – التي تخص الجانب اللغوي والدلالي- بقوله: (نعم) ؛ وعلة الإيجاب مأخوذة من عادة العرب في مثل هذا الأسلوب ؛ لأنهم قد يشيرون بلفظ واحد معبرين به جميع الأحرف(١٦١) ويستشهد ببيت من الرجز للوليد بن عقبة – وهو يخاطب الإبل –(١٦٢) :

قُلْتُ لها قِفِي لنا قالتْ: قاف   لا تَحْسَبي أَنّا نسِنا الإيجافْ

كما استشهد بـ :   بالخيرِ خيراتٌ, وإنْ شرُّ فا   فلا أُريدُ الشرَّ, إلا أَنْ تا

والرجز لنعيم بن أوس(١٦٣), وأراد بـ (فا) : فشُر له . وأراد بـ (إلا أن تا) : إلا أن تشاء أو تريده(١٦٤) . فالحرف النائب هو الفاء وحده والتاء وحده ؛ وجيء بالألف عوضًا عن هاء تلحق الحرف للسكت ؛ فلغة العرب لا تتحرج من اقتطاع الكلمة أو الجملة ؛ ثم التعويض عن ذلك الحذف بحرف أو أحرف ؛ كما في لغة بني سعد ؛ حين يعبرون عن جملة : ألا تجيء بـ : ألا تا(١٦٥) لا سيما إذا دل دليل على ذلك المحذوف ؛ والغرض أن تنحو نحو التخفيف والتسهيل , بطريق بلاغي رخيم في موضعه المختار .

رابعًا- حذف النون:

اختلفت القرأةُ في قوله تعالى- حكاية عن ذي النون:"فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ"(١٦٦) ؛ حيث قرأها العامة بنونين, ثانيهما ساكن ؛ من الإنجاء , على معنى : ونحن ننجي, والضمير المنفصل يعود إلى الله تعالى ؛ للتعظيم, والنون الثانية من أصل الفعل(١٦٧)

, إلا أن رسم المصحف جاء بحذف إحدى النونين, فلماذا حُذفتْ ؟ ويوضح الثعلبي جواب السائل بما له علاقة بالتفسير الصوتي ؛ فيرى أن النون الثانية – التي هي من أصل الفعل – لما كانت ساكنة ؛ لم تظهر على اللسان ؛ فُحذِفت, ويشبهها في الحذف:(أَنْ + لا) فهي تُكتب: ألا مشددة اللام [١٦٨] وخرّج غيره إخفاء النون الثانية ؛ لورود الجيم بعدها[١٦٩] بمعنى أنها لما حُذفت في النطق أو أُخفيت ؛ تبعها الخط ؛ فلم تظهر فيه . ولا يُتصوَّر أن الفعل بُني لما لمْ يُسمَّ فاعله ؛ لأن ما بعدها منصوب, وحقُّ النائب عن الفاعل الرفعُ ؛ فتقرر أن الفاعل اللهُ عن طريق نون الجمع الراجعة إلى الضمير المنفصل المقدَّر, الدال على التعظيم . غير أن ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر قرأوا بصيغة المبني لما لم يسم فاعله (نُجِّيْ) بتسكين الياء؛ فأثاروا انتباه من اعتقد غير ذلك؛ فكيف نُصِب ما بعده والياء ساكنة ؟ وهذا سؤال آخر, يتصدى الثعلبي لإجابته , فيرى أن هناك مفعولين اثنين , الأول محذوف وأُضمر مكانه ما دل عليه الفعل, والتقدير : نُجّي النجاءُ المؤمنين, كما يقال : ضُرب الضربُ زيدًا[١٧٠] . ثم بين الثعلبي أن هذا التخريج على من صوَّب هذه القراءة, وأما من عدّها لحنًا, أو من غلط الراوي[١٧١] ؛ فله الحق في النظر والتحفظ ؛ لأن الفعل الماضي إذا بني للمجهول أو لما لم يسم فاعله ؛ لم يُسكَّن آخره. وإن حصل ذلك فمحله الضرورة الشعرية , ولا يُحمل القرآن على الضرورة الشعرية, ولا يُحتج بها له, خصوصًا إذا كان هناك مندوحة لا شُبهة فيها .

خامسًا– حذف جواب (لولا) : تستدعي (لولا) جوابًا, وقد يُحذف هذا الجواب كما في قوله تعالى:"فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[١٧٢] ومعناها الموقعَين (هلّا)التي تفيد التحضيض . وكل واحدة تطلب جوابًا ؛ فأين جوابها ؟ على حد ما جاء في تفسير الثعلبي , ثم يجيب رحمه الله بقول[١٧٣], نسبه إلى الفرّاء[١٧٤] أنهما أُجيبا بجواب واحد ؛ وهو قوله : (تَرْجِعونها) . ويحيل القضية في ذلك إلى لغة العرب ؛ فهم يعيدون الحرفين ومعناهما واحدٌ[١٧٥], ويقصد بالحرفين حرفي الشرط[١٧٦]. وثمة جواب آخر, وهو– باختصار– حذفُ أحد الجوابين ؛ لدلالة الآخر عليه[١٧٧], بأسلوب بلاغي موجز, عن طريق النظم القرآني الفريد. وهذا يفسح المجال لجواب جديد, يوضع على التقديم والتأخير, ومجازها : فلولا ترجعونها, أي (الروح) إذا بلغت الحلقوم, إن كنتم غير مدينين[١٧٨] وهذا يؤدي إلى تكرار (لولا) الثانية ؛ للتأكيد . ويرى كثير من المفسرين أن الفعل(ترجعونها) سد مسد البيانات التي يستحقها التحضيض[١٧٩].

سادسًا– حذف الخبر:رُبَّ سائل يسأل: أين الخبر في قوله تعالى:" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "[١٨٠] وهذا السؤال وجيه في موضعه, ويحتاج إلى بيان, وقد فك إشكاله الثعلبي بإجابة طيبة ؛ حيث إن الاسم الموصول مسندٌ إليه, أو مبتدأ يطلب خبرًا ؛ لكن سياق الآية حذف الخبر, فهو متروك ؛ لأن الشارع لم يقصد أن يُخبر عنهم– وهو أعلم– وهذا الترك جائز, فربما يُذكر الاسم ؛ ويكون تمام خبره في اسم آخر غيره ؛ فيصير المعنى : والذين يتوفون منكم ويذرون أزوجًا ؛ فعدتهن أن يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا[١٨١] أو يكون التقدير: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا , أزواجُهم يتربصن بأنفسهن . وقيل : إن الخبر : يتربصن بعدهم[١٨٢] . والداعي لهذا الحذف أن القصد متوجه إلى الواجب على المعتدات ؛ فصُرف الخبرُ عن الأموات إلى الخبر عن أزواجهم[١٨٣] وذلك الضرب من سعة العربية ومزيد مرونتها , التي جاء بها كتاب الله عز وجل, فاستغني بخبر الثاني عن خبر الأول, وقد يكون وليس مستبعدًا أن يكون خبر (الذين) هو : يتربص أزواجهم . وحذف الخبر هنا لا يضر المعنى أبدًا لأن ذكر الأسماء التي لم يخبر عنها يجوز إذا اكتفى القائل بالأسماء الثانية مع خبرها, شريطة أن يكون المعنى مفهومًا, والله سبحانه أحكم .

الخاتمة :

– جمعت الدراسة حصرًا للأسئلة التي قد ترد عند المتأمل لكتاب الله, الباحث عن المعنى الدقيق وتخريجه, وكانت هذه الأسئلة محددة بما وُجد في تفسير الثعلبي, وأخص بالذكر ما تعلق بالأسئلة التي يحتاج جوابها إلى توظيف لغوي, أو بيان علة لغوية على اختلاف مستوياتها وصولًا إلى جواب شافٍ يؤدي إلى توضيح البيان القرآني الفريد المعجز .

– تُعدُّ الأسئلة الوارد في تفسير الثعلبي مشحونة بالذكاء الذي اقتضب نوعاً يستحق الوقوف عليه ؛ لأن كثيرًا من النصوص القرآنية تحتاج ضرورة إلى تفسير مقصود, وتقديرًا يفسح جوانبه إلا سعة العربية ومرونتها, واتساق أساليبها ؛ بما يتلاءم مع اللسان العربي, الذي نزل به القرآن .

– استشهد الثعلبي على إجابته ومناقشته في عرض المسائل وأجوبتها على بعض آيات القرآن, وبعض الأحاديث النبوية, وأشعار العرب الموثوق بعربيتهم, وأساليب الكلام العربي .

– دللت الاتجاهات اللغوية في الأجوبة الواردة في تفسير الثعلبي ؛ أن لصاحب هذا التفسير باعًا طويلًا في الإدراك اللغوي, والعلم الغزير, ولا غرو ؛ فهو واحد من الذين عاشوا في نيسابور ؛ منبع العلم وازدهاره , ومجتمع الثقافات في وقتها ؛ مضاهية بذلك دار السلام .

– بين الثعلبي أن الخطاب القرآني, قد تتنوع ضروبه وأشكاله ؛ بما يتوافق مع الدليل العقلي, والنقلي المستوحى من لغة العرب ؛ فلم يأت القرآن بِدعًا فيها .

– قد يؤتى بالجمع مرادًا به الواحد, وقد ينصرف عن شيئين إلى المفرد أو الشيء الواحد, ويحدث أن يأتي الخطاب القرآني بقصد إلى غير ملفوظ به, كما قد يدل الجمع القليل على الكثير؛ والعلة في ذلك تعاور الدلالة اللفظية ومواربتها للدليل الناصع .

–المعروف أن العائد إلى الجمع المؤنث يكون مؤنثًا ؛ بيد أنه قد يوجد ما يخالف ذلك , ورودًا له ما يسوّغه أو يسمح به, وهو ما بينته هذه الدراسة .

– للسياق سلطة, وأثر بالغ في تحديد الدلالة, بين الوجوب, أو الجواز, أو كلا الأمرين, وهذا الأثر يكشف بجلاء كثيرًا من الإشكالات التي قد تواجه الباحث عن المعنى في العبارة القرآنية, أو ما يواجه الدارس اللغوي في فقه العربية ونحوها وصرفها, فضلًا عن القضايا الصوتية, بما يتيح فهمًا دلاليًا واعيًا لا ينضبط إلا بالدليل .

–تُحذف بعض الكلمات أو الجمل؛ ويؤول وجودها بعلاقتها النصية والمقامية, والتاريخية, فحال اللغة كالجسد ؛ إن خفي منه شيء دل غيره عليه .

– تتصف طريقة عرض الثعلبي للأسئلة ثم الجواب عليها بأنها منظمة, بلغة سهلة, وعبارات يفترضها للباحث, مختارًا من الأسئلة أهمها, ومن الأجوبة أنجعها, وقد يربأ بنفسه عن كثير من الأوجه التي رآها تحتاج إلى بسط قد لا يؤتي ثماره على عجل, ولكل مجتهد نصيب في اجتهاده

هوامش البحث

(١) ينظر : وفيات الأعيان ١/ ٨٠ , وطبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٥٨ .

(٢) ينظر : معجم الأدباء ٤/ ١٦٦٣, ١٦٦٤, وإنباه الرواة١/ ١٥٤, والبداية والنهاية ١٢/ ٤٠ , والأعلام ١/ ٢١٢ .

(٣) معجم الأدباء ٤/ ١٦٦٣ .

(٤) وهو بالضم ؛ بناء على أصالة الألف, قيل : إنه أُطلق ؛ لقبًا لأبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري السيدفومي (ت ٣٤٠ هـ), يُنظر : تاج العروس ٩/ ٣٧٤ .

(٥) يُنظر : التوقيف على مهمات التعاريف ٤٧ .

(٦) يُنظر : إنباه الرواة ١/ ١٥٤, والبداية والنهاية ١٢/ ٤٠ , والأعلام ١/ ٢١٢ .

(٧) يُنظر : شذرات الذهب ٣/ ٢٢٩ .

(٨) يُنظر : إنباه الرواة ١/ ١٤٥ , والبداية والنهاية ١٢/ ٤٠ ,والأعلام ١/ ٢١٢ .

(٩) يُنظر : طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٥٨ .

(١٠) يُنظر : وفيات الأعيان ١ / ٨٠ .

(١١) يُنظر : اللمع ٧١, والأصول في النحو ١/ ٤٦ .

(١٢) يُنظر : أسرار العربية ٧٦ , ومعاني الأبنية في العربية ١٢٩ .

(١٣) يُنظر : الكتاب ٣/ ٥٣٨ , ٥٦٧ , والمقتضب ١٩٥ – ١٩٨ , والشافية في علم التصريف ٤٣ .

(١٤) يُنظر : الكتاب ٣ / ٦١٩ , واللمع ٢٨٥ .

(١٥) سورة الحِجر, الآية (٩) .

(١٦) سورة الأعراف, الآيتان (٨ , ٩) .

(١٧) يُنظر: تفسير الثعلبي ١٢ / ٣٠٣ , ٣٠٤ .

(١٨) سورة آل عمران, الآية ١٧٣ .

(١٩) سورة المؤمنون, من الآية ٥١ .

([20]) يُنظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٢٤٧ .

([21]) يُنظر : زاد المسير ١٠٢/٢ .

([22]) يُنظر : جامع البيان ١٩ / ٤٠ .

([23]) يُنظر : جامع البيان ٣١١/١٢ .

([24]) يُنظر : البحر المحيط ٥ / ١٤ .

([25]) يُنظر : البحر المحيط ٥/ ١٤ , والجواهر الحسان ٣ / ٩ .

([26]) ينظر : البحر المحيط ١٤/٥ .

([27]) يُنظر : مفاتيح الغيب ٢٠٢/١٤ .

([28]) الجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٧ .

([29]) سورة النساء، الآية ٩٧ .

([30]) تفسير الثعلبي٥٥٣/١٠ .

([31]) وردت في سور : (الحجر)، من الآية ٩، و(مريم)، من الآية ٤٠، و(يس)، من الآية١٢، و(ق)، من الآية ٤٣، و(الإنسان)، من الآية ٢٣.

([32]) سورة السجدة, الآية ١١ .

([33]) يُنظر : تفسير السمعاني ١/ ٤٦٩ .

([34]) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣٤٥ . ومفاتيح الغيب ٥ / ٣٤٥ .

([35]) سورة البقرة, من الآية ٢٩٥ .

([36]) يُنظر : تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٠ , ١٥١ .

([37]) ينظر : تفسير الثعلبي ١٥١/٧ , والنكت العيون٣٣٣/١ . والوجيز ١/ ١٨٥ .

([38]) تفسير الثعلبي ١٦٩/٧ .

([39]) يُنظر : تفسير الثعلبي ١٦٩/٧ .

([40]) يُنظر : تفسير الثعلبي ٧/ ١٧٠ , والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٩٢ .

([41]) سورة الرحمن, الآية ٢٢ .

([42]) يُنظر : معاني القرآن للفراء ١١٥/٣ .

([43]) يُنظر : جامع البيان ٣٥٢/٢٢ .

([44]) يُنظر : الحجة في القراءات السبع ٢١٩/١ , ٢٢٠ , وحجة القراءات ١/ ١٤٣ .

([45]) يُنظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٢٧ .

([46]) يُنظر : تفسير الثعلبي ٧/ ٦٦٦ .

([47]) يُنظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٣٤٣ .

([48]) سورة طه, الآيتان : ٤٣ , ٤٤ .

([49]) تفسير الثعلبي ١٧ / ٥٣٧ .

([50]) يُنظر : الكتاب ١ /٣٣١ .

([51]) يُنظر : لطائف الإشارات ٤٥٩/٢ .

([52]) يُنظر : جامع البيان ٧٥/٦ .

([53]) سورة آل عمران, الآية ١٣ .

([54]) يُنظر : تفسير الثعلبي ٨٧/٨، ٩٠ .

([55]) ينظر : تقريب النشر ١٠٠ .

(٥٦) ينظر : الحجة في القراءات السبعة ١٠٦ ، والمحتسب ١/١٥٥ .

(٥٧) ينظر : تفسير الثعلبي ٨/٩٢ .

(٥٨) يُنظر : جامع البيان ٦/٢٣٨ .

(٥٩) تفسير الثعلبي ٨/٩٢ .

(٦٠) يُنظر : تفسير الثعلبي ٨/٩٢ – ٩٣ .

(٦١) يُنظر : معاني القرآن للفراء ١/١٩٤ .

(٦٢) يُنظر : جامع البيان ٦/٢٣٩.

(٦٣) يُنظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٣٨١ – ٣٨٢ .

(٦٤) سورة البقرة. من الآية ٧٠ .

(٦٥) يُنظر : اللغة العربية, مبناها ومعناها ٩١ .

(٦٦) يُنظر : تفسير الثعلبي ٣/٣٨٦ .

(٦٧) سورة القمر, من الآية ٢٠ .

(٦٨) يُنظر : معاني القرآن للفراء ١ / ١١١, ١١٢ .

(٦٩) يُنظر : الوسيط ١/١٥٦ .

(٧٠) يُنظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٣٨٦ – ٣٨٧ .

(٧١) يُنظر : الكتاب ٣/٢٤١ .

(٧٢) سورة القصص، من الآية ٧٦ .

(٧٣) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٠/٤٩٢، ٤٩٣ ، وتفسير مقاتل ٣/٣٥٥ .

(٧٤) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٠/٤٩١ – ٤٩٢ .

(٧٥) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٠/٤٩٥ .

(٧٦) تفسير الثعلبي ٢٠/٤٩٥ .

(٧٧)يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٠/٤٩٥ .

(٧٨) معالم التنزيل ٣/٥٤٣ .

(٧٩) يُنظر : البحر المديد ٤/ ٢٧٤ .

(٨٠) سورة يس, الآية ١ .

(٨١) سورة النمل, الآية ١ .

(٨٢) يُنظر: تفسير ابن فورك ٣/ ١٧٨ .

(٨٣) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٢ / ٢٤٧ .

(٨٤) سورة الرعد, من الآية ١ .

(٨٥) سورة الأعراف, الآية ١ .

(٨٦) سورة الشورى, الآيتان ١ , ٢ .

(٨٧) سورة مريم, الآية ١ .

(٨٨) يُنظر : مناهل العرفان ١/٢٧٥ .

(٨٩) يُنظر : دراسات في علوم القرآن ١/ ١١٩ .

(٩٠) سورة البقرة، من الآية ٢١٦ .

(٩١) يُنظر : تفسير الثعلبي ١٠/٤٩٤ .

(٩٢) ينظر : الجنى الداني٤٦٢،٤٦١ ،ومغني اللبيب ١/٢٠١ .

(٩٣) ينظر : زاد المسير ٤٤٠/١، ومفاتيح الغيب ١٥٧/١٠، ومعاني القرآن للنحّاس ١٤٥/٢ .

(٩٤) سورة النساء، الآية ٨٤ .

(٩٥) سورة الفتح، من الآية ٢٤ .

(٩٦) يُنظر : لباب النقول في أسباب النزول ١٧٧ .

(٩٧) يُنظر : تفسير الثعلبي ٤٩٦/١٠، والبحر المحيط ٧٣١/٣ .

(٩٨) يُنظر : تفسير الثعلبي ٤٩٥/١٠ .

(٩٩) يُنظر : جامع البيان ٥٧٩/٨ .

(١٠٠) يُنظر : مغني اللبيب ٨٦٩/١ .

(١٠١) يُنظر : العين ٣١٤/٤ (باب الخاء والفاء) .

(١٠٢) يُنظر : جمهرة الغة١٠٥٥/٢ (باب الخاء في الفعل, وما تشعب منها) .

(١٠٣) يُنظر : مقاييس اللغة ٢٠٢/٢ (مادة خفي) .

(١٠٤) يُنظر : مجاز القرآن ٢/ ١٧ .

(١٠٥) سورة طه, الآية ١٥ .

(١٠٦) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨٥ , والدر المنثور ٥٢٥/٤ .

(١٠٧) يُنظر : تفسير الثعلبي ١٧ / ٥١٦ .

(١٠٨) يُنظر : جامع البيان ١٨ / ٢٨٥ .

(١٠٩)يُنظر : المحتسب ٤٧/٢ .

(١١٠) يُنظر : تفسير الثعلبي ١٧ / ٥١٧ .

(١١١) يُنظر : مجاز القرآن ١٧/٢ .

(١١٢) يُنظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٥ .

(١١٣) يُنظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢٥.

(١١٤) يُنظر : الجني الداني ٤٢٦.

(١١٥) يُنظر : الجني الداني ٤٢٧ .

(١١٦) سورة الأعراف, الآية ١١ .

(١١٧) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢١/ ٣٠٥ .

(١١٨) يُنظر : معالم التنزيل ١٨٢/٢ .

(١١٩) يُنظر : معاني القرآن للزجاج ٣٢١/٢ .

(١٢٠) يُنظر : جامع البيان ١٢ / ٣٢٠ .

(١٢١) يُنظر : معاني القرآن للأخفش ٣٢١/١ .

(١٢٢) يُنظر : جامع البيان ٣٢٢/١٢ .

(١٢٣) يُنظر : معاني القرآن ٣٢١/٢ .

(١٢٤) يُنظر : الجني الداني ٣٧ .

(١٢٥) يُنظر : الجني الداني ٣٧ – ٥٥ .

(١٢٦) سورة النحل, الآيتان ٤٣,٤٤ .

(١٢٧) يُنظر: اللباب في علوم الكتاب ٦٢/١٢ .

(١٢٨) تفسير الثعلبي ١٦ / ٤٨ .

(١٢٩) تفسير الثعلبي ٤٨/١٦ .

(١٣٠) يُنظر : معاني القرآن للأخفش ٣٢٨/١ .

(١٣١) يُنظر : جامع البيان ٢٠٩/١٧ .

(١٣٢) يُنظر : جامع البيان ٢٠٩/١٧ , واللباب في علوم الكتاب ٦٢/١٢ .

(١٣٣) يُنظر : معالم التنزيل ٨٠/٣ , واللباب في علوم الكتاب ١٢/ ٦٢ , ٦٣ .

(١٣٤) سورة طه, الآية ١٠٥.

(١٣٥) يُنظر : تفسير الثعلبي ١٨ / ٥٩ .

(١٣٦) يُنظر : دلائل الإعجاز ٤٦/١ .

(١٣٧) سورة البقرة, الآية ١٨٦ .

(١٣٨) سورة غافر, من الآية ٦٠ .

(١٣٩) يُنظر : تفسير الثعلبي ٥١٦/٤ .

(١٤٠) يُنظر : تفسير الثعلبي ٤/ ٥١٦ .

(١٤١) يُنظر : جامع البيان ٤٨٥/٣ .

(١٤٢) يُنظر : تفسير الثعلبي ٥١٦/٤ .

(١٤٣) سورة النور, الآيتان ٣٦ , ٣٧ .

(١٤٤) يُنظر : أساس البلاغة ٩١/١ (مادة تجر) .

(١٤٥) يُنظر : المفردات في غريب القرآن ١٦٤ .

(١٤٦) يُنظر : تفسير الثعلبي ١٩ /٢٨٢ .

(١٤٧) يُنظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ٧٩٩/٢ .

(١٤٨) سورة الجمعة, من الآية ١١ .

(١٤٩) يُنظر : الوسيط ٣٢١/٣ , ومعالم التنزيل ٤٢٠/٣ , وإيجاز البيان عن معاني القرآن ٦٠٣/٢ .

(١٥٠) يُنظر : البحر المحيط ٤٩/٣ .

(١٥١) سورة البقرة, الآية ١ .

(١٥٢) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٤/٣ .

(١٥٣) يُنظر : زاد المسير ٢٦/١ , والإتقان في علوم القرآن ٢٧/٣ .

(١٥٤) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٤/٣ .

(١٥٥) في قوله تعالى:" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ", سورة المرسلات, الآية ٤٨ .

(١٥٦) في قوله تعالى:" كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ" , سورة العلق, الآية ١٩ .

(١٥٧) في قوله تعالى:"بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ", سورة آل عمران , من الآية ١٨٢ .

(١٥٨) في قوله تعالى:"سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ" , سورة القلم, الآية ١٦ .

(١٥٩) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٥/٣ .

(١٦٠) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٦/٣ .

(١٦١) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٦/٣ .

(١٦٢) يُنظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٦٣ .

(١٦٣) يُنظر : الكتاب ٣/ ٣٢١ .

(١٦٤) يُنظر : تفسير الثعلبي ١/ ٢٠٩ .

(١٦٥) يُنظر : جامع البيان ١/ ٢١٣ ,والتحرير والتنوير ١/ ٢٠٩ .

(١٦٦) سورة الأنبياء, الآية ٨٨ .

(١٦٧) يُنظر : الحجة في القراءات السبعة ٢٧/١ .

(١٦٨) يُنظر : تفسير الثعلبي ٨ / ٢٤٦ .

(١٦٩) يُنظر : الحجة في القراءات السبعة ٢٧/١ .

(١٧٠) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٤٦/١٨ . وحجة القراءات ٢٦٩/١ , والتيسير في القراءات ١٥٥/١ .

(١٧١) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٤٧/١٨ , والمحرر الوجيز ١١٨/٤ .

(١٧٢) سورة الواقعة, الآيات من ٨٣ – ٨٦ .

(١٧٣) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٥ /٥٣٨ .

(١٧٤) يُنظر : معاني القرآن للفراء ١٣٠/٣ .

(١٧٥) يُنظر : تفسير الثعلبي ٥٣٨/٢٥ .

(١٧٦) يُنظر : الوجيز ١/ ١٠٦٤ .

(١٧٧) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٥ /٥٣٩ .

(١٧٨) يُنظر : تفسير الثعلبي ٢٥ /٥٣٩ , البحر المحيط ١٠ /٩٤ .

(١٧٩) يُنظر: الجواهر الحسان ٣٧٣/٥ , وتأويل مشكل القرآن ٢٨٩/١ , وإعراب القرآن للنحاس ٢٣٠/٤ .

(١٨٠) سورة البقرة , الآية ٢٣٤ .

(١٨١) يُنظر: تفسير الثعلبي ٢٨١/٦ .

(١٨٢) يُنظر : معاني القرآن للأخفش ١٨٩/١ .

(١٨٣) يُنظر : جامع البيان ٥ /٧٧ .

قائمة المصادر والمراجع

*- القرآن الكريم .

١- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي , جلال الدين بن عبدالرحمن (ت٩١١هـ) تحقيق: سعيد المندوب, دار الفكر, لبنان,ط١ , ١٤١٦هـ

٢- أساس البلاغة : الزمخشري, أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر, دار الفكر, ط١, ١٣٩٩هت- ١٩٧٩م

٣-أسرار العربية : الأنباري , أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيدالله (ت٥٥٧هـ) تحقيق: د. فخر الدين قباوة , دار الجيل ,بيروت ,ط١ , ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٤-الأصول في النحو , ابن السراج , أبو بكر محمد بن سهل (ت٣١٦هـ) تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي ,مؤسسة الرسالة ,بيروت ,ط٣،

٥-إعراب القرآن، النحاس , أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ) , وضع هوامشه وعلق عليه : عبد المنعم خليل ابراهيم , دار الكتب العلمية

٦-الأعلام : الزركلي, خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين, ط ١٥, ٢٠٠٢ م.

٧-إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي, جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ) المكتبة العصرية، بيروت، ط١, ١٤٢٤ هـ .

٨-البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي , محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت

٩- البحر المديد : ابن عجيبة, أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٢٢٤هـ) , دار الكتب العلمية . بيروت, ط٢ , . ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

١٠- البداية والنهاية : ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري, دار إحياء التراث العربي, ط١, ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس : مرتضى الزبيدي , محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق (ت١٢٠٥هـ) دار صادر,بيروت ,

١٢- تأويل مشكل إعراب القرآن : ابن قتيبة الدينوري , عبدالله بن مسلم(ت٢٧٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر , دار إحياء التراث .

١٣- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) دار سحنون للنشر والتوزيع , تونس ,١٩٩٧م .

١٤- تفسير القرآن العظيم للسمعاني : أبو المظفر منصور بن محمد (ت٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن ابراهيم , غنيم بن عباس , دار الوطن , الرياض, ط١ , ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

١٥- تفسير ابن فورك : أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٤٠٦) تحقيق: عاطف بن كامل بن صالح بخاري, الناشر: جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية, ط١, ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م .
١٦- تفسير مقاتل بن سليمان : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته ,الناشر: دار إحياء التراث – بيروت, ط١ - ١٤٢٣ هـ .
١٧- التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة, ط١, ١٤١٠هـ–١٩٩٠م
١٨–التيسير في القراءات السبع , الداني , أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ) تحقيق: أوتوتريزيل , دار الكتاب العربي , بيروت , ط٢ , ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) دار الفكر , بيروت , ١٤٠٥هـ .
٢٠- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي , أبو عبدالله محمد بن احمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري , دار عالم الفوائد , الرياض , ط١ , ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
٢١- جمهرة اللغة : ابن دريد , أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ) تحقيق: د. رمزي منير البعلبكي , دار العلم للملايين , بيروت , ط١ ,
٢٢- الجنى الداني في حروف المعاني : المرادي , الحسن بن قاسم (ت٧٤٩هـ) تحقيق: د. فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل , دار الكتب العلمية , بيروت
٢٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن : الثعالبي , عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت٨٧٥هـ) تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد , دار إحياء التراث العربي , بيروت .
٢٤- الحجة في القراءات السبع :ابن خالويه , أبو عبدالله الحسين بن احمد (ت٣٧٠هـ) تحقيق : عبد العال سالم مكرم , دار الشروق ,
٢٥- حجة القراءات : ابن زنجلة , أبو زُرعة عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٠٣هـ تقريبا) سعيد الأفغاني , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط٢ ,
٢٦- دراسات في علوم القرآن الكريم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي, الرياض , ط١٢ , ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٢٧- دلائل الإعجاز :الجرجاني , عبد القاهر بن عبدالرحمن (ت٤٧١هـ) تحقيق: التنجي , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١ , ١٤١٥هـ -
٢٨- زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي , عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ) المكتب الاسلامي , بيروت , ط٣ , ١٤٠٤هـ .
٢٩- الشافية في علم التصريف :ابن الحاجب , أبو عمر جمال الدين بن عثمان , (ت٦٤٦هـ) تحقيق: حسن أحمد عثمان , المكتبة المكية , مكة المكرمة , ط١ , ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٣٠ - شذرات الذهب : الحنبلي , عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ) تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط , دار ابن كثير , دمشق , ط١ , ١٤٠٦هـ .
٣١- طبقات الشافعية الكبرى : السبكي , تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)
تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو ,الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع, ط٢، ١٤١٣هـ .
٣٢- العين: الفراهيدي , الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ), تحقيق:د. مهدي المخزومي , د. ابراهيم السامرائي , دار ومكتبة الهلال .
٣٣- الكتاب (كتاب سيبويه) : أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون , دار الرفاعي , بالقاهرة , ط٢ , ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٣٤ –الكشف والبيان : الثعلبي , أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ) تحقيق: مجموعة من الباحثين, دار لتفسير, جدة, المملكة العربية السعودية, ط١, ١٤٣٦هـ, ٢٠١٥ م .
٣٥ - اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل, أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ,الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان, ط١, ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م .
٣٦- لباب النقول في أسباب النزول : السيوطي, جلال الدين, عبد الرحمن بن أبي بكر,ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي, دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

٣٧- لطائف الإشارات = تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)تحقيق: إبراهيم البسيوني ,الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر , ط٣ .
٣٨- لسان العرب:ابن منظور , محمد بن مكرم الإفريقي, المصري(ت٧١١هـ) دار صادر, بيروت , ط٤ .
٣٩- اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان عمر , عالم الكتب , ط٥/ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
٤٠ – اللمع في العربية : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ), تحقيق:حامد المؤمن , مطبعة العاني , بغداد , ط١ , ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م
٤١- مجاز القرآن :أبو عبيدة ومعمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) تحقيق: محمد فؤاد سزكين , مكتبة الخانجي , دار الفكر , ط٢ , ١٩٧٠ .
٤٢ – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ), تحقيق:علي النجدي وآخرين , لجنة
٤٣ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية الأندلسي , أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت٥٤٦هـ) تحقيق:عبد السلام عبد الشافعي ,محمد , دار الكتب العلمية , بيروت ,ط٢ , ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
٤٤ – مُشكل أعراب القرآن : القيسي , أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) , تحقيق: حاتم صالح الضامن , مؤسسة الرسالة , بيروت
٤٥ – معالم التنزيل : البغوي , أبو محمد حسين بن مسعود (ت٥١٦هـ) تحقيق: محمد عبدالله النمر , عثمان جمعه ضميرية , سليمان مسلم الحرش , دار طيبة للنشر والتوزيع , ط٤ , ١٤١٧هـ – ١٩٩٩م .
٤٦ – معاني الأبنية في العربية : د. فاضل صالح السامرائي , مطبوعات جامعة الكويت.
٤٧ – معاني القرآن : الأخفش الأوسط , أبو الحسن سعيد بن مسعدة , (ت٢١٥هـ) تحقيق: د . هدى محمود قراعة , مكتبة الخانجي , القاهرة ,ط١, ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م .
٤٨ – معاني القرآن : الفرّاء , أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ) عالم الكتب , بيروت ,ط٣ , ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٤٩ – معاني القرآن وإعرابه : للزجاج , أبو إسحق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ) تحقيق: د.عبد الجليل عبده , عالم الكتب , ط١ , ١٤٠٨هـ
٥٠ – معجم الأدباء : الحموي , أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ) دار الكتب العلمية , بيروت , ط١ , ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٥١ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) , تحقيق : د. مازن مبارك , محمد علي حمد الله , دار الفكر , دمشق ,ط٦ , ١٩٨٥م .
٥٢ – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: فخر الدين الرازي ,أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي
٥٣ –المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني , أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ) تحقيق : محمد سيد كيلاني , دار المعرفة
٥٤ – مقاييس اللغة : ابن فارس , أبو الحسن , أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) , تحقيق:عبد السلام محمد هارون , دار الجيل , بيروت , ط٢, ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٥٥ – المقتضب : المبرّد , أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ), تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة , عالم الكتب , بيروت .
٥٦ – مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني , محمد عبد العظيم , دار الفكر ,لبنان , ط١ , ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
٥٧ – النكت والعيون = تفسير الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم, دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .
٥٨ – الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : الواحدي , أبو الحسن علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داودي ,دار القلم , الدار الشامية , دمشق , بيروت , ط١ , ١٤١٥هـ – ١٩٨٥م .
٥٩- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: الواحدي , أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت ٤٦٨هـ)تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .
٦٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان , ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس, دار الثقافة ,لبنان , ١٩٦٨م .